من صور التسامح في الإسلام
العفو والرحمة والسلام
دراسة بلاغية تطبيقية

إعداد
د/ فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر
المدرس بقسم البلاغة والنقد

Scanned with CamScanner
تم تحويل بواسطة CamScanner

مقدمة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام الحق خير من نطق بالضاد وأبلغ أهل العربية، صلاة وسلاما دائمين عليه وعلي آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

وبعد.....

فهذا بحث يتناول صورا من التسامح الواردة في كتاب الله الكريم وسنة نبيه العظيم، تناولت فيه بعضا من صور التسامح في الإسلام.

الصورة الأولي: العفو والرحمة من خلال ثلاث آيات من كتاب الله وحديثين من أحاديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم.

الصورة الثانية: السلام و المسالمة من خلال آيتين من كتاب الله وحديثين من أحاديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم.

وقد كان الباعث القوي علي اختياري هذا الموضوع دون غيره ، أني أردت الحديث عن سماحة الإسلام في شرعته في التعامل مع المسلمين وغيرهم في ظل هذه الظروف التي نعيشها ، والتي يحارب فيها الإسلام من الداخل والخارج ، حيث يتهم بأنه دين الإرهاب والعنف وهو برئ من هذا الاتهام. وقد كانت آيات الرحمة والعفو والسلم والمسالمة وصور أخري كالعدل والإحسان كثيرة إلا أني اقتصرت علي ما ورد بالبحث حتى لا يطول البحث أولا ، وحتى أستطيع أن أوفي مقام كل آية وحديث حقه ثانيا.

وقد انتهجت في بحثي هذا منهجاً تحليليا ، قائم علي تحليل الآيات وبيان معناها، ثم باستنباط الألوان البلاغية المنبثة فيها واستخراج السر البلاغي والداعي إلي مجيء اللون البلاغي في الآيات.

كذلك في الأحاديث النبوية، إلا أني أضفت إلي الأحاديث تخريجها من كتب الحديث والتعريف بالراوي في هامش البحث.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن ينفع به، وما كان فيه من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان ،" وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

الباحثة

Scanned with CamScanner
تم تحويل هذا الملف بواسطة CamScanner

أولا: الرحمة والعفو

١-من القرآن الكريم:

يقول تعالي ﴿" وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

سورة النور "٢٢"

يقول تعالى :﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾" سورة الشورى "٤٠"

يقول تعالي: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ سورة البلد "١٧"

توطئة:

إن من أخص صفات المسلم أنه يتميز بقلب حي، مرهف، لين، رحيم يتجاوب به للأحداث والأشخاص ، فيرق للضعيف ، ويألم للحزين ، ويحنو على المسلمين ، ويمد يده إلي الملهوف. وبهذا القلب الحي الرحيم ينفر من الإيذاء وينبو عن الجريمة ، ويصبح مصدر خير وبر وسلام لما حوله ومن حوله . فالمسلم إنسان ذو قلب رحيم ، لأن مثله الأعلى أن يتخلق بأخلاق الله تعالي ، وأن يكون له حظ من أسمائه الحسني ، ومن أوضح الأخلاق الإلهية "الرحمة" التي وسعت كل شيء ، وشملت المؤمن والكافر ، والبر والفاجر، واستوعبت الدنيا والآخرة[١].

---

١ سماحة الإسلام للأستاذ الدكتور/عمر بن عبد العزيز قريشي صـ٣٦ – المكتبة الذهبية ط ٣ -٢٠٠٦ م.

Scanned with CamScanner

من هنا كان الحديث عن الرحمة في آية سورة النور التي حضت المؤمن ذا الفضل والسعة علي أن يرحم المسيء، وألا يقطع إحسانه لإساءته، كما كان الحال بخصوص الآية، والتي نزلت[١] في شأن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه - ومسطح ابن خالته الذي تكلم في شأن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- وكان أبو بكر ينفق عليه ، فحلف ألا ينفق عليه، وبعد أن برأ الله أم المؤمنين من فوق سبع سموات بقرآن يتلي إلي يوم الدين، حض أهل "الفضل" وهو الزيادة في الدين "والسعة" وهو الغني والرفاهية[٢]، والمقصود بالآية أبو بكر لخصوص السبب، بأن يرحموا المسيئين ويعفوا عنهم، ويصفحوا عن زلاتهم، بغية أن يتشبهوا بشيء من صفات الله الغفور الرحيم، الذي يعفوا عن المسيء ويغفر لمن أناب إليه . وأن لا يألو[٣] المؤمن جهدا في أن يرقي لهذه المنزلة .

ثم كانت الآية الثانية " **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...**" وهي أيضا حث وتحضيض علي العفو والصفح والرحمة، وقد ساعد علي إبراز هذا المعني ألوان بلاغية متعددة أسهمت في ترغيب المسلم في بذل العفو والصفح والرحمة عمن اعتدي عليه، وترهيبا للمسلم من أن يكون من الظالمين المجاوزين للحد إذا أراد أن يقابل السيئة بمثلها، لأنه لا يأمن في مجازاة السيئة بمثلها من أن يجاوز الحد .

وكانت الآية الثالثة صورة رائعة من صور أهل الإيمان الذين وصفوا بصفات متعددة في سورة البلد " **فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا**

---

١ أسباب النزول للنيسابوري صـ٢٤٣-مكتبة الجمهورية العربية.

٢ ينظر حاشية الشهاب علي البيضاوي جـ٧ /٣٠ - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٣ لسان العرب لابن منظور - مادة ألا- دار المعارف- القاهرة.

Scanned with CamScanner

بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾. وعطف بحرف العطف " ثم" علي التراخي لبيان منزلة الإيمان مع الأعمال الصالحة، إذ لا اعتبار لأي عمل صالح إلا بالإيمان. ثم يأتي بعد الإيمان التواصي بالصبر والرحمة وهو أن يوصي[١] المسلمون بعضهم بعضا بالعطف والشفقة والرقة في التعامل مع خلق الله .

هذه إطلالة عامة علي معاني الآيات الثلاثة، وما تحمله من معني عام فيه حث وتحضيض لكل مسلم يتخلق بخلق الإسلام أن يكون رحيما، يعفو ويصفح ويصبر علي من أساء، يقتدي في أفعاله بسيد الخلق -صلي الله عليه وسلم- ولينال قسطا من أسماء الله الغفور الرحيم العفو الصبور، حتى يكون محلا لأن يبلغه عفو الله وغفرانه وصفحه ورحمته.

التحليل البلاغي للآيات:

-قال تعالي : " وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي القُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" النور- ٢٢.

١- إن أول ما يطالعنا في الآية أسلوب نهي علي حقيقته، استخدم فيها الفعل "يأتل" ومعناه كما قال أهل اللغة :إما الحلف وإما التقصير من قولك لا آلو جهدا في فعل كذا تعني: لا أقصر[٢]. وأصل الفعل "يأل"، وزيادة المبني تدل علي زيادة المعني ، فكأن الفعل حمل معني التأكيد أي : لا يكون منكم حلف أو تقصير علي أن تبذلوا العفو والصفح وتكونوا رحمة بين العباد ، وإن سبقت لكم منهم إساءة .

٢- التعريف في كلمتي "الفضل " و" السعة" بالألف واللام، أشار الفخر

---

١ لسان العرب مادة "وصى" ؛ رحم.

٢ ينظر لسان العرب مادة ألا ، والكشاف للزمخشري جـ٣ /٥٦ دار المعرفة بيروت لبنان .

Scanned with CamScanner

الرازي[١] أنها لإفادة العموم بمعني كل الفضل وكل السعة ثم أتي بالجار والمجرور" منكم" ليفيد أن الفضل درجات، إشادة بمناقب أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأنه بلغ أعلي درجات الفضل، لذا خوطب في الآية علي أسلوب الجمع " أولي الفضل" مراعاة لخصوص السبب تعظيما وتشريفا لأبي بكر، الذي نزلت فيه الآية، وإلا فالآية عامة لكل صاحب فضل في الدين وسعة في الرزق يتفضل بما أفاض الله عليه، علي من له حاجة ترغيباً في البذل والعطاء ، وأن يكون محلاً لمغفرة الله ورحمته مصداقاً لقول الحبيب المصطفي " **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** "[٢].

كما أنه خص الفضل بالذكر وعطف عليه السعة مع أن معناه الزيادة مطلقا لأنه أراد به هنا الزيادة في الدين ، أما السعة فهي الإحسان إلي المسلمين. فكأن أبا بكر كان مستجمعا للتعظيم لأمر الله تعالي والشفقة علي خلق الله وهما من أعلي مراتب الصديقين[٣].

٣- الالتفات :

قرئ قوله تعالي " أَن يُؤْتُوا " بالتاء[٤] ومعروف أن الالتفات كما عرّفه البلاغيون هو : العدول من أسلوب الكلام إلي أسلوب آخر مخالف للأول وقد يلقب بشجاعة العربية[٥]. وعلي قراءة الالتفات هنا يكون المراد زيادة الحث والترغيب في إيتاء الخير، ورحمة المسيء والعفو والصفح، لأن

---

١ ينظر التفسير الكبير للفخر الرازي جـ٢٣/١٨٩- دار إحياء التراث العربي- ط٣- بيروت.

٢ رواه الترمذي. كتاب البر والصلة. باب ما جاء في رحمة المسلمين جـ٨/ ١١١. وقال حديث حسن صحيح.

٣ حاشية الشهاب علي البيضاوي جـ٧/٢٩ والتفسير الكبير جـ٢٣/١٨٨.

٤ انظر الكشاف جـ٣/٥٦.

٥ الطراز العلوي اليمني جـ٢/١٣٢- دار الكتب العلمية- بيروت.

Scanned with CamScanner
تم تحويل هذا الملف بـ CamScanner

الخطاب المباشر أدعي إلي الإجابة من الخطاب غير المباشر، فكأنه بدأ بالغائب في قوله " وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ " ليترك مجالاً للتفكير لكل صاحب فضل وسعة ، لكل ذي دين وغني أن يكون أهلا لهذه الآية وأن يعمل بمقتضاها ، ثم يلتفت إلي الخطاب المباشر ليكون الأمر أدعي إلي الاستجابة السريعة وتحقيق الرحمة ومقتضاها من عفوٍ عن المسيء وعدم الإساءة إليه.

٤- الأمر بالعفو والصفح علي حقيقته إلا أن ظاهر الأسلوب يوحي بالتكرار ، فالعفو والصفح مرادهما واحد وهو نسيان الذنب وعدم المؤاخذة عليه فما سر هذا التكرار؟ إن القرآن الكريم لا تتكرر فيه كلمة بغير سر بلاغي سواء توصل إليه أم لم يتوصل إليه ، والسر البلاغي هنا -والله أعلم- أن الصفح والعفو بينهما فروق دقيقة في المعني . ففي اللسان أن الصفوح الكريم ، والصفوح في صفة الله تعالي : العفو عن ذنوب العباد معرضا عن مجازاتهم بالعقوبة تكرماً. وصفح عنه يصفح صفحاً: أعرض عن ذنبه. وأصل الصفح الجنب.

والعفو هو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس[١] إذن هناك فرق دقيق بين الكلمتين، فالصفح فيه معني الإعراض والمجانبة والتعامل كأن شيئا لم يكن، والعفو فيه تمام معني التجاوز عن الذنب فإنك إن أعرضت عن الذنب وتعاملت مع المسيء كأنه لم يخطئ مع العلم بوجود السيئة فإن الخطوة الأكثر تقدما والأبعد في الرحمة والعطف والشفقة أن يُمْحَي ذنبه هذا لديك، وتُطْمَس ملامحه فلا تذكره ولا تتذكره، وهذا من تمام العفو. ولذا كان العفوّ- وهو من أبنية المبالغة- من أسماء الله تعالي . لهذا كان استخدام الكلمتين في الآية ليدل علي تمام الرحمة المستلزمة من الصفح والعفو .

---

١ لسان العرب مادة صفح – عفو.

Scanned with CamScanner

ولعل في ترتيب القرآن الكريم في الآية العفو قبل الصفح إشارة إلي ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم الرحيم المتخلق بخلق القرآن الكريم ، بأن يعفو وينسي الإساءة فإن لم يستطع فالصفح وهو أن يعرض عن الإساءة ويتعامل مع المسيء برحمة وشفقة ، ففي ذكر الصفح بعد العفو مراعاة للنفس البشرية ، وهذا من كمال إعجاز القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم خبير.

٥- الاستفهام

في قوله تعالي " أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ "

والمراد به التحضيض وهو الحث والطلب برفق[١] فهو يحث علي السعي فيما به المغفرة وهو العفو والصفح وذلك لأن أسلوب الاستفهام فيه إثارة للذهن وهو أوقع في النفس ، وأكثر تأثيراً[٢] فمن منا لا يحب أن ينال غفران الله ورحمته.

فأسلوب الاستفهام ساعد علي زيادة الترغيب كما أن فيه تطمينا لنفس أبي بكر في حنثه ليمينه، وتنبيها علي الأمر بالتخلق بأخلاق الله تعالي، إذ أن لذة الخطاب تنسي أي عتاب[٣].

٦- الوصل :

وصل بين الآية التي معنا وبين قوله " **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** " ، كذلك وصل بين قوله " **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** " وبين قوله " **وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ** ..." وأخيراً وصل بين ختام الآية " **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** " وبين قوله

---

١ المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني د/إنعام مكاوي صـ١٢٧-دار الكتب العلمية - بيروت.

٢ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور- المجلد الثامن جـ١٨/١٨٩ -دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لحبنكة الميداني جـ١/٢٩٦ دار القلم -دمشق.

٣ التحرير والتنوير المجلد الثامن جـ١٨/١٩٠ -ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي جـ٥/٢٤٨-دار الكتب العلمية -بيروت.

Scanned with CamScanner

" أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ".

أما الوصل الأول فإنه يجوز أن يكون من باب عطف الخاص علي العام للاهتمام بشأن الخاص إذ إنه " لا يخفي أن من كيد الشيطان أن يأتي بوسوسة في صورة خواطر الخير، إذا علم أن الموسوَس إليه من الذين يتوخون البر والطاعة ، وأنه ممن يتعذر عليه ترويج وسوسته إذا كانت مكشوفة "[١].

أما الوصل بين الأمر في قوله " وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا " وبين النهي في قوله " وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الفَضْلِ..." فللتوسط بين الكمالين إذ إن كلا من الجملتين إنشائيتين لفظا ومعني ووجدت المناسبة للجمع بينهما .

أما الوصل الأخير بين ختام الآية " وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " وبين ما قبلها " أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ " فليست الواو للوصل وإنما هي واو الحال أي: والحال أن الله غفور رحيم ، ومجيء واو الحال هنا غالب كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني[٢] لأن جملة الحال من مبتدأ وخبر ، ويراد من جملة الحال هنا إضافة معني جديد للخبر السابق، كأن الآية بهذا الختام ترغب وتحث علي العفو والصفح والرحمة بالمسيء بأبلغ الطرق. تارة بالاستفهام التحضيضي، وأخري بجملة الحال التي تدعو كل مسلم أن يكون أهلا لمغفرة الله ورحمته.

ويجوز أن تكون الواو واو عطف علي معني " أن الله مع قدرته الكاملة وعلمه الشامل " غَفُورٌ رَّحِيمٌ " من صفته ذلك ، إن شاء يغفر لكم ذنوبكم بأن يمحوها فلا يدع لها أثراً ويرحمكم بعد محوها بالفضل عليكم كما فعلتم معهم ، فإن الجزاء من جنس العمل "[٣].

---

١ التحرير والتنوير –المجلد الثامن جـ١٨/١٨٨.

٢ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني صـ٢٠٢ –مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.

٣ نظم الدرر جـ٥/٢٤٨.

Scanned with CamScanner

قال تعالى:﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الشورى ٤٠

١- المجاز المرسل

في قوله تعالى :" وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها"

ومعلوم أن المجاز المرسل هو : الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي[١].

وقيل إن فيها مشاكلة وهي : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تقديراً أو تحقيقاً[٢]، وقيل إن فيها جناس المزاوجة أو التجنيس المزدوج وعرف بأنه : إيلاء أحد المتجانسين الآخر من غير فصل[٣].

فالآية تواردت عليها آراء العلماء[٤]، بين قائل بأنها من المجاز المرسل حيث إن السيئة الأولي المراد بها الفعلة التي يساء منها ، والثانية المراد بها الجزاء، وسميت باسمها مجازا من ذكر الشيء باسم سببه ترغيبا في العفو، وتنفيرا من العقوبة؛ لأن جزاء السيئة إذا كان بالقصاص لا يكون إلا من

---

١ ينظر الإيضاح ١٥٤-للخطيب القزويني- دار الجيل- بيروت،والإيضاح بتعليق البغية جـ٣/٨٧ لعبد المتعال الصعيدي-المطبعة النموذجية، والمطول لسعد الدين التفتازاني صـ ٣٤٨-مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ ، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي صـ٢٣٢-دار الكتب العلمية - بيروت.

٢ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها صـ٦٢١ -د/أحمد مطلوب -مكتبة لبنان ، وأثر النحاة في البحث البلاغي د/عبد القادر حسين صـ١٦٣/١٦٤-دار نهضة مصر ، والتوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د/أحمد سعد محمد صـ٤٦٣- مكتبة الآداب.

٣ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - د/ أحمد مطلوب صـ٢٨١.

٤ الكشاف جـ٣/٤٧٣ ،إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش جـ٩/٤٥ -دار الإرشاد للشئون الجامعية.حمص ط٣/١٩٩٢م، والبلاغة القرآنية والنبوية في آثار الشريفين د/محمد حسن شرشر صـ٣٦٧/٣٦٨- مكتبة زهراء الشرق ط١/٢٠٠٦م.

Scanned with CamScanner

جنسها، فعبر بنفس الاسم ترغيبا في ترك القصاص والعفو والرحمة . هذا علي القول بالمجاز المرسل.

ولا يمنع هذا القول من أن يكون فيها مشاكلة، حيث ذُكر جزاء السيئة بلفظها لوقوعه في صحبتها، ولكن المجاز ذكرها بلفظها نظرا لمعني السببية ، والمشاكلة ذكرت الجزاء بلفظها لمراعاة الحلية اللفظية تناسبا وتلاؤما في الأسلوب ، ويقرب من ذلك أيضا جناس الازدواج أو التجنيس المزدوج . وعلي كل فإن اعتبار المشاكلة أو جناس الازدواج فقط في الآية دون المجاز فيه إغفال لجزء مهم من المعني وهو بيان سببية المجازاة ، فالآية جاءت عقب قوله تعالي " وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ " الشورى٣٩ ، وقد كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق ، ولذا فإن شق الآية الآخر " فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ " تجد فيه الغضب علي هؤلاء الذين يسيئون إلي الناس ، من هنا يتضح قيمة المجاز البلاغية وأنه إبراز لقوة السببية ، حيث نقل المعني من مدلول اللفظة الأصلي إلي مدلول جديد هو أكثر اتساعا وأبعد أفقا وأدعي إلي التأمل ، علاوة علي ما فيها من المبالغة وقوة الأثر للكلام[١].

ومن ناحية أخرى فإن وقوع الجزاء في سياق الاعتداء،والتعبير عنه بلفظه لوقوعه في صحبته وتحليل الكلام بناء على ذلك، يختلف عن اعتباره مجازاً مرسلا لأنه لا ينظر فيه إلي قوة السببية ، وإنما ينظر فيه إلي تلك الناحية الفطنة الجريئة التي ترمي باللفظ في غير جهته ، وتدل به علي غير معناه ، وليست العلاقة من تلك العلاقات التي طرقتها ألسنة المبينين، وإنما جرأة واقتداراً وثقة بفطنة السامع ، وهذا من طرائق العربية الجليلة

---

١ ينظر التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان د/محمد أبو موسي صـ٣٥- مكتبة وهبة ط٢/١٩٨، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري شيخ أمين جـ٢/١١٠،١٠٩- دار العلم للملايين—بيروت- ط١- ١٩٨٧م.

Scanned with CamScanner

الذي يلتقي مع ما سماه أبو الفتح شجاعة العربية[١].

والحق أن كلا من المجاز والمشاكلة يخدم بعضه بعضا "فأسلوب المشاكلة أسلوب أصيل في القرآن الكريم، وهو جدير بأن يلحق كذلك بأقسام البيان الأصيل، لأنه من مقتضيات الأحوال"[٢]، فأساليب المشاكلة إما مجاز مرسل كما في الآية، وإما استعارة كما سوف يأتي في آية سورة الأنفال من هذا البحث.

كل هذا علي اعتبار أن معني السيئة عكس الحسنة ، أما إذا كان معني السيئة ما يسوء فعله فإنه يجوز أن يكون الكلام علي حقيقته لأن جزاء السيئة أيضاً يساءُ فعلها[٣].

والغرض في الآية من ذكر السيئة:

١) زجر كل من له قلب عن الاسترسال في الانتصار للنفس ، وردها عن حد المماثلة[٤].

٢) الندب إلي العفو والرحمة والتجاوز عن المسيء فضلا عن رد السيئة بمثلها.

٢- التنكير

في قوله "سيئة" ليفيد عموم أي فعل سيء ، فالتنكير يأتي لما هو عام علي عكس التعريف ، كذلك قوله " فأجره علي الله " "عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم"[٥]، أي له من الأجر ما لا يحيط بكنهه بشر، فإبهام الأجر

---

١ ينظر الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم د/ محمد أبو موسي صـ١٥١بتصرف-مكتبة وهبة- ط١/١٩٨٤م.

٢ ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية- د/ عبد العظيم المطعني- ج٢/٤٢٦- مكتبة وهبة- ط١- القاهرة- ١٩٩٢م.

٣ ينظر حاشية الشهاب جـ٨/٣٦١.

٤ ينظر نظم الدرر جـ٦/٦٤٠.

٥ الكشاف جـ٣/ ٤٧٣.

Scanned with CamScanner

هنا للتكثير والتعظيم ، وذكر لفظ الجلالة أكد عظم الثواب وشرفه فأجر الذي يرحم ويعفو ويصفح يكون من الله العظيم لكمال قدرته وجميل آلائه.

٣-التهذيب:

في قوله تعالي :" فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ " فن رفيع وهو التهذيب، فإن "الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حالة الفوران والغضب الشديد"[١]، والتهذيب هو: "حسن الترتيب في النظم"[٢] ولا يخفي ما في الآية الكريمة من حسن الترتيب في النظم من التدرج من العفو إلي الصفح مراعاة لأنفس البشر وما يكونون عليه من الغضب الشديد، ثم تعقيب هاتين الصفتين بالتحذير من أن يكون المجازي من الظالمين ، إذ لا يأمن زيادة العقوبة عن حد الإساءة فيصبح بعد أن كان صاحب حق ظالما . والتحذير الأشد في أن الله لا يحب الظالمين .

٤-تلاؤم الفاصلة :

في قوله" **إنه لا يحب الظالمين**" تعليل منصرف لمفهوم جملة " وجزاء سيئةٍ سيئةٌ **مثلها**" أي دون تجاوز المماثلة في الجزاء[٣] حيث بين أنه يكره وضع الشيء في غير محله لأنه لا يعلم المماثلة في ذلك إلا الله ، فقال " **إنه لا يحب الظالمين** " أي لا يكرم الواضعين للشيء في غير محله[٤] ولا يخفي التلاؤم بين فاصلة الآية ومحتواها ، وفائدة التلاؤم تكون في حسن الكلام

---

١ إعراب القرآن الكريم وبيانه جـ٩/٤٦.

٢ ينظر تحرير التحبير لابن أبي الأصبع المصري د/حفني شرف -القاهرة ١٣٨٣هـ صـ٤٠١ ، وبديع القرآن لابن أبي الأصبع صـ١٥٨ تحقيق د/ حفني شرف -القاهرة ١٣٧٧، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها صـ٤٢٨.

٣ ينظر التحرير والتنوير المجلد١٠/جـ٢٥/١١٦.

٤ ينظر نظم الدرر جـ٦/٦٤١.

Scanned with CamScanner

في السمع ، وسهولته في اللفظ وتقبل المعني في النفس...[١]

وتتجلي أهمية الفواصل القرآنية في أنها أكسبت الأسلوب القرآني قوة وتماسكا عن طريق انسياب النغم وانسجام اللفظ في الآيات ، وتدفقه مع المعاني قوة ولينا ، مما أثر في نفوس المتلقين[٢].

٥-الاعتراض:

قوله تعالي " وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها.....إلي آخر الآيات" جمل ثلاث معترضة الواحدة تلو الأخرى[٣] بين قوله " والذين إذا أصابهم البغي ..." وقوله " ولمن انتصر بعد ظلمه" ، وفائدة هذا الاعتراض تحديد الانتصار والترغيب في العفو ، ثم ذم الظلم والاعتداء ، وهذا انتقال من الإذن في الانتصار من أعداء الدين إلي تحديد أجزائه بين الأمة، بقرينة تفريع " فمن عفا وأصلح " علي جملة " وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها"...وقد شملت هذه الآية بموقعها الاعتراضي أصول الإرشاد إلي ما في الانتصار من الظالم وما في العفو عنه من صلاح الأمة ، ففي تخويل حق انتصار المظلوم من ظالمه ردع للظالمين عن الإقدام علي الظلم خوفا من أن يأخذ المظلوم بحقه ، فالمعتدي يحسب لذلك حسابه حين أهم بالعدوان. وفي الترغيب في عفو المظلوم عن ظالمه حفظ آصرة الأخوة الإسلامية بين المظلوم وظالمه، كيلا تنثلم في آحاد جزئياتها، بل تزداد بالعفو متانة، كما قال تعالي " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " فصلت ٣٤

---

٢ ينظر الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم د/ محمد أبو موسي صـ١٤٤- مكتبة وهبة- ط١- ١٩٨٤م.

٢ ينظر الأسلوب في الإعجاز البلاغي لمحمد كريم كواز صـ٣٣٨ وما بعدها - دار الكتب الوطنية -بنغازي ط١/١٤٢٦هـ.

٣ ينظر التحرير والتنوير المجلد١٠ جـ٢٥/١١٤، ١١٦،١١٧.

Scanned with CamScanner

علي أن الله تعالي لم يهمل جانب ردع الظالم فأنبأ بتحقيق أنه بمحل من غضب الله عليه إذ قال " إنه لا يحب الظالمين " ولا ينحصر ما في طي هذا من هول الوعيد .

كل هذا المعني استفيد من مجيء الإطناب بالاعتراض بين الآيتين ، وهو أن يأتي في وسط الكلام بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة[١] ، ومجيء الآية محل البحث بجملها الثلاثة أفاد عدم المغالاة في الجزاء ، والترغيب في العفو عن المسيء ، وذم المجاوز في الحد في أخذ حقه، حتى أنه وصف بالظلم مع أنه صاحب الحق والمظلوم ابتداءً، ترهيبا وتنفيرا من المغالاة في أخذ الحق، وترغيباً في الرحمة والعفو.

---

١ المعجم المفصل في علوم البلاغة د/ إنعام مكاوي صـ١٦٢.

Scanned with CamScanner

- قال تعالي :" ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ " البلد ١٧.

١- العطف بـ" ثم "

تتعدد حروف العطف والوصل بين المفردات والجمل في اللغة العربية ، ولكل حرف معناه وميزته ، والآية الكريمة التي معنا بدأت بحرف العطف "ثم" الذي يفيد الترتيب مع التراخي ليفيد " تراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت ، لأن الإيمان هو السابق المتقدم علي غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به "[1] وهذا دليل علي عظم شأن الإيمان وأنه الأساس، فلا اعتبار لأي عمل صالح إلا بعد الإيمان بالله أولاً . ولذا كان العطف بثم التي للتراخي لتفيد بُعد رتبة وفضيلة الإيمان علي ما عداه وما سبقه في الآيات من أعمال صالحة .

٢-سر استخدام اسم الموصول

في قوله تعالي " ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا" دون " ثم كان مؤمنا " لأن كونه من الذين آمنوا أدل علي ثبوت الإيمان من الوصف بمؤمن ، لأن صفة الجماعة أقوي ، من أجل كثرة الموصوفين بها، فإن كثرة الخير خير، علاوة علي التعبير باسم الموصول الذي يفيد تقوية أخري للوصف، حيث أفاد أنهم عرفوا بالإيمان بين الفرق[2].

ويتجلي هذا المعني من استخدام من " البيانية أولاً" ثم مجيء اسم الموصول ثانياً، وذلك لإرادة الوصف بما تضمنته صلة الموصول ، وتقرير الغرض المسوق له الكلام وهو وصف هؤلاء بأنهم من الجماعة المؤمنة

---

[1] ينظر الكشاف جـ٤/٢٥٧.

[2] ينظر التحرير والتنوير المجلد١٢-جـ٣/٣٦١ بتصرف يسير.

بعد وصفهم بما سبق من أعمال صالحة[١] وحَذْفَ متعلق جملة الصلة "آمنوا"، والتقدير: آمنوا بالله وحده وبرسوله محمد ودين الإسلام؛ ليتأتي من ذكر الذين آمنوا تخلص إلي الثناء عليهم، بقوله " وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ " .

٣-سر تخصيص الصبر والمرحمة بالذكر؛ لأن ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان ، فإن الصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها لأنها لا تخلو من كسبح الشهوة النفسانية وذلك من الصبر .

والمرحمة ملاك صلاح الجماعة الإسلامية ، كما أن التواصي بالرحمة فضيلة عظيمة[٢] والمرحمة هي الرحمة العظيمة فزيادة المبني تدل علي زيادة المعني .

فقوله " وتواصوا بالصبر" إشارة إلي التعظيم لأمر الله ، وقوله " وتواصوا بالمرحمة " إشارة إلي الشفقة علي خلق الله ، ومدار أمر الطاعات ليس إلا علي هذين الأصلين، وهو الذي قاله بعض المحققين ، إن في التصوف أمران: صدق مع الحق ، وخُلُقٌ مع الخلق[٣].

٤-توافق وائتلاف الفاصلة مع فواصل السورة

إن اطراد الفاصلة في القرآن جزء من اطراد النظام في القرآن كله وفي الوجود بأسره ، وهي تنهض بالدور الذي ينهض به النظام في كل شيء فني . فهي ركن وطيد من أركان الآية لفظا ومعني ، بقدر ما هي ركن في المقطع والسورة ومجموع القرآن. وهي كذلك شارة تميز القرآن من الشعر والنثر مسجوعا أو مرسلا ، يفطن إليها القارئ الشادي كما يؤخذ

---

١ ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ١/٤٣٠ وما بعدها .

٢ ينظر التحرير والتنوير المجلد ١٢-جـ٣/٣٦١.

٣ ينظر التفسير الكبير جـ٣١/ ١٨٧.

بسحرها المطالع المثقف.

إن الفواصل تطرق سمع المسلم منذ ولادته إلي أن يواريه التراب. بل إنها ستكون رفيقه يوم القيامة تشهد له بحسن الصحبة، ويشهد لها بجمال الأثر[١].

والفاصلة التي معنا تتعلق موسيقيا بجو السورة حيث إن خواتيم الآيات في السورة تكاد تتحد ، فالآية التي معنا ختمت بميم وتاء مربوطة يوقف عليها وما قبلها بست آيات وما بعدها بثلاث إلي ختام السورة ، والسبع الأول من السورة ختمت الآيات بحرف روي واحد هو الدال الساكنة في الوقف ، ثم ثلاث آيات بالباء والنون " عينين ، شفتين ، النجدين " ثم العشر آيات الأخيرة والتي من ضمنها الآية محل البحث مختومة بميم وتاء مربوطة .

وبنظرة عامة علي السورة يتضح الجو الموسيقي والترابط القوي من الفاصلة المتوافقة في كل السورة المؤتلفة مع ما يدل عليه الكلام. وهي من دلائل إعجاز القرآن الكريم ، لأن هذا التلاؤم المتناهي لا يكون في كلام البشر.

---

١ الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي صـ١٩٣،١٩٢ باختصار -المكتب الإسلامي- بيروت ط٢-١٩٨٦م.

تابع أولاً : الرحمة والعفو

٢- من السنة النبوية

روي البخاري عن أسامة بن زيد)*(-رضي الله عنهما- قال: أرسلت بنت النبي ﷺ إليه إن ابنا لي قُبض فائتنا. فأرسل يقرئ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطي وكل عنده بأجل مسمي ، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها.فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ورجال ، فرُفع إلي رسول الله الصبي ونفسُه تتقعقع، فقال: حسبت أنه قال كأنها شنّ ففاضت عيناه. فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. وفي رواية شعبة في أواخر باب الطب " ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء[1] ".

روي البخاري أن أبا هريرة)*(-رضي الله عنه- قال: قبّل رسول الله

(*) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل بن عبد العزي بن امرئ القيس. حِبّ رسول الله ومولاه وابن مولاه ، استعمله النبي -صلي الله عليه وسلم- علي جيش لغزو الشام وفي الجيش عمر والكبار ، فلم يسر حتى توفي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فبادر الصديق ببعثهم ، مات في آخر خلافة معاوية. ينظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج٣/٤٤- ٥٠. ت/ محمود شاكر- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط١- ٢٠٠٦م.

١ ينظر صحيح البخاري بشرح السندي جـ١/٢٢٣-كتاب الجنائز-باب يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه-المكتب الثقافي -مطبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسي البابي الحلبي وشركاه ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني جـ٣٦٨/٤ حديث -رقم١٢٨٤-٥٦٥٥-دار الغد العربي -القاهرة- ط١- ١٩٩٢م.

(*) هو أبو هريرة الدوسي اليماني الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ، سيد الحفّاظ الأثبات ، اختلف في اسمه علي أقوال جمة أرجحها: عبد الرحمن بن صخر ، حمل عن النبي علما كثيرا طيبا مباركا فيه ، لم يُلحق في كثرته ، حدّث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين توفي بين سنة ٥٧، ٥٩هـ علي اختلاف الأراء. ينظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج٣/ ٨٧- ١٠٩.

صلي الله عليه وسلم- الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: "من لا يَرحم لا يُرحم"[1].

المعني العام للحديث الأول

أورد البخاري -رحمه الله- هذا الحديث في باب " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه " تحت كتاب الجنائز ، وأورد آخر جملة فيه ضمن رواية أخرى في باب الطب.

وبنت رسول الله ﷺ التي أرسلت إليه هي زينب، واختلفت الروايات في المراد بقولها "ابنا لي قبض"، والصواب فيه أن المراد به "أمامة بنت زينب"، فأرسلت زينب إلي أبيها عليه الصلاة والسلام لتخبره فيأتيها ، فأرسل السلام مع من بعثه، وحمّله هذه الرسالة الغالية ليبلغها إلي ابنته: "إن لله ما أخذ وله ما أعطي فلتصبر ولتحتسب". والمعني: إن الذي أراد الله أن يأخذه هو الذي كان أعطاه ، فإن أخذه أخذ ما هو له فلا ينبغي الجزع، لأن مستودع الأمانة لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت منه. ثم أمرها بالصبر والاحتساب ، ومعني الاحتساب أن تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها، ليحسب لها ذلك من عملها الصالح ، وقوله " فأرسلت إليه تقسم " معناه أن رسول الله ﷺ لم يجبها إلي طلبها من أول مرة ، وإنما امتنع مبالغة في إظهار التسليم لربه، وأن الموت قضاء الله وقدره ، وليبين الجواز في أن من دُعي لمثل ذلك لم تجب عليه الإجابة بخلاف الوليمة مثلا.

---

[1] صحيح البخاري بحاشية السندى جـ٤/٥١، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري -كتاب الأدب -باب رحمة الولد وتقبيله جـ١٦/٣١٣،٣٠٢ حديث رقم ٥٩٩٧.

" فقام ومعه رجال" علي اختلاف الروايات في أسماء الرجال ، فرُفع إلي رسول الله الصبي ونفسه تتقعقع "قال: حسبت أنه قال كأنها شنّ" ، في رواية "وُضع في حجره" وفي رواية "ونفسه تتقعقع كأنها في شنّ" أي: تضطرب ، والشنّ: القربة الخلقة اليابسة ، والقعقعة حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرك ، ومعني نفسه تقعقع أي: كلما صدرت إلي حال لم تلبث أن تصير إلي حال أخرى، تقربه من الموت ، لا تثبت علي حال واحدة. "ففاضت عيناه" صلي الله عليه وسلم ، فقال سعد: ما هذا؟ فقال: هذه (أي : الدمعة) أثر رحمة ، أي أن الذي يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمد من صاحبه ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه ، وإنما المنهيّ عنه الجزع وعدم الصبر. فهذه الدموع أثر الرحمة، والله لا يرحم من عباده إلا الرحماء ، الذين تفيض قلوبهم رحمة بعباده،وشفقة بهم وعطفا عليهم.

والحديث دليل علي جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر لرجاء دعائهم ، وفيه استحباب إبرار القسم ، وأمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت، ليقع وهو مستشعر الرضا، مقاوما للحزن صابرا، وفيه الترغيب في الشفقة علي خلق الله والرحمة لهم ، والترهيب من قساوة القلب وجمود العين[١].

المعني العام للحديث الثاني

الحديث الثاني يتحدث حديثا مباشرا عن الرحمة بالولد ، والشفقة في التعامل مع الصغار، وفيه ترغيب في أن يكون الإنسان صاحب قلب رفيق رحيم، لأن هذا ما سيرحم الله به عباده.

والصورة في هذا الحديث أن رسول الله -صلي الله عليه وسلم- كان

---

١ ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٤/٣٦٨ بتصرف، ولسان العرب مادة شنن - قعقع.

عنده أحد الأعراب وهو فراس بن حابس التيمي الدارمي الملقب بالأقرع[1] ، وقبل رسول الله -صلي الله عليه وسلم- الحسن بن علي، حفيده في حضور الأقرع ، فتعجب الأقرع من تقبيل الرسول -صلي الله عليه وسلم- لحفيده، وعبر عن تعجبه هذا بقوله "إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا" فنظر إليه رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وقد تعجب من قسوة قلبه وغلظته، وكان رده: " من لا يَرحم لا يُرحم ". وهو خبر، علي تقدير أن "من" موصولة، ويجوز أن تكون شرطية فيقرأ بالجزم فيهما ، والخبر أولي من الشرط ليكون أشبه بسياق الكلام، لأنه سيق للرد علي من قال إن له عشرة من الولد.... الخ. وبهذا تصير الجملة الأخيرة من نوع ضرب المثل. وفيه الحض علي استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب، ويحتمل أن يكون المعني من لا يرحم غيره بأي نوع من الإحسان لا يحصل له الثواب. كما يحتمل أن يكون المراد من لا يكون فيه رحمة الإيمان في الدنيا لا يرحم في الآخرة ، أو من لا يرحم نفسه بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لا يرحمه الله، لأنه ليس عنده عهد، فتكون الأولي بمعني الأعمال والثانية بمعني الجزاء ، أي لا يثاب إلا من عمل صالحا....[2]

التحليل البلاغي للحديث الأول

١-الأمر

جاء أسلوب الأمر في الحديث ثلاثاً: في قوله "فائتنا" "فلتصبر ولتحتسب" وقد تنوع بين الحقيقة والمجاز ، فالأمر الأول "ائتنا" أمر مجازي

---

[1] ينظر فتح الباري جـ١٣/٥٦٤.

[2] ينظر فتح الباري جـ١٦/٣٠٠، ٣١٣، ٣١٤ بتصرف.

خرج من معني الوجوب إلي الترجي والاستئذان بقرينة حالية، إذ الأمر حكاية علي لسان بنت رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فهو من الأدنى إلي الأعلى، تستأذن فيه "أبيها" رسول الله أن يأتيها ، وفيه معني الرجاء بدليل قسمها عليه بعده. ومجيء الرجاء في صورة الأمر له بلاغته ، إذ يوحي بالجو النفسي ومدي رغبة الطالب في تحقيق مطلوبه ، ولذا يأتي به في صورة الأمر التي تفيد الوجوب ، ليستشعر المخاطب مدي رغبة الآمر أو الطالب في تحقق مطلوبه.

أما قوله "فلتصبر ولتحتسب" فالأمر فيهما حقيقي ، فهما أمران من رسول الله -صلي الله عليه وسلم- لابنته ، ولعامة المسلمين بعدها ، بوجوب الصبر واحتساب أجره عند وقوع مصيبة الموت، إذ لم تأت قرينة أو صارف يصرفها عن الوجوب.

٢-التقديم

فقد قدم الأخذ علي الإعطاء في قوله "إن لله ما أخذ وله ما أعطي" لاقتضاء المقام ذلك ، إذ المعني "أن الذي أراد الله أن يأخذه هو الذي كان أعطاه، فإن أخذه أخذ ما هو له فلا ينبغي الجزع، لأن مستودع الأمانة لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت منه". ويحتمل أن يكون المراد بالإعطاء الحياة لمن بقي بعد الميت ، أو ثوابهم علي المصيبة، أو ما هو أعم من ذلك ، فعلي الأول يكون التقدير: "لله الأخذ والإعطاء" ، وعلي الثاني: "لله الذي أخذه من الأولاد وله ما أعطي منهم" أو ما هو أعم من ذلك كما تقدم[١].

هذه التأويلات الكثيرة في التقديم تترجم قيمة التقديم البلاغية، فهو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف بعيد الغاية ، لا يزال يعبر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلي لطيفة ، ولا تزال تري شعرا يروقك مسمعه

---

١ ينظر فتح الباري جـ٤/٣٦٦.

ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء ، وحوله اللفظ عن مكان إلي مكان[١] .

٣-المجاز المرسل

في قوله "عنده" إذ إن معني العندية العلم ، فالعلم مستلزم للعندية، وهو مجاز مرسل علاقته اللزومية ، والمراد أن كل شيء في علم الله مقدر بوقته المعلوم، فانتهاء الأحوال معلوم بوقته في علم الله ، ولذا عبر " بعند" دون "في علمه" ليصور العلم بالشيء المحسوس الذي استقر وتمكن.

٤-إيجاز الحذف

في قوله "فقام ومعه رجال فرُفع إلي رسول الله الصبي" والتقدير: فمشوا إلي ان وصلوا إلي بيتها فاستأذنوا فأذن لهم فدخلوا فرُفع...، ودليل الحذف رواية أخري وردت بلفظ "فلما دخلنا ناولوا رسول الله -صلي الله عليه وسلم- الصبي"[٢].

وهو اختصار في صورة الكلام حيث إن ما فهم من السياق لا داعي لذكره، لأن ذكره عبث ولا طائل من ورائه.

٥-الاستعارة

في قوله "ونفسه تتقعقع" وقوله "ففاضت عيناه"

أما الأولي: فإن تتقعقع من القعقعة وهو صوت الشيء اليابس إذا حُرك، ففي الأسلوب استعارة تمثيلية، حيث شبه هيئة خروج الروح وما يحدث من أصوات حينها بهيئة الشيء اليابس إذا تحرك، بجامع هيئة الصوت الصادر في كل منهما. ثم استعار التركيب الدال علي المشبه به للمشبه وهو

---

١ ينظر دلائل الإعجاز صـ١٠٦.

٢ ينظر فتح الباري جـ٤/٣٦٧.

قوله"تتقعقع"، ليدل بهذا التركيب وهذه الاستعارة علي شدة خروج الروح من البدن، وعلي هول ما يلاقيه الإنسان عند خروج الروح من بدنه، فإن للموت سكرات كما قال النبي -صلي الله عليه وسلم- ويؤكد هذه الصورة ما يعضدها من أسلوب التشبيه الذي سيأتي في قوله "كأنها شنّ".

ويمكن أن تكون استعارة مكنية،حيث شبه خروج الروح وما يصدر عن ذلك الخروج من صوت، بالشيء اليابس الذي إذا حُرّك صدر عنه صوت القعقعة، ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه، وهو قوله "تتقعقع" على سبيل الاستعارة المكنية. بغية تصوير هذا المشهد المؤلم.

أما الاستعارة الثانية: فهي في قول الراوي "ففاضت عيناه"، أي عينا رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وهي استعارة تبعية في الفعل، حيث استعار الفيضان هنا للنزول ، للدلالة علي غزارة نزول الدموع من عيني رسول الله -صلي الله عليه وسلم- رحمة وشفقة بهذا الصبي أو الصبية لهول ما يعاني ، وشدة ما يلاقي ، والتعبير الاستعاري "فاض" أبلغ في إيصال مدي تأثر الرسول وبيان لمدي رحمته بهذا المحتضر، من الفعل "نزل" لأنه صوّر الجو النفسي للموقف كله.

٦-التشبيه

في قوله "كأنها شنّ" والشَن: القربة الخلقة اليابسة ، أو الجلد. وفي رواية " كأنها في شنّ". **فعلي الرواية الأولي:** التي معنا يكون قد شبه النفس بنفس الجلد ، وهو أبلغ في الإشارة إلي شدة الضعف ، **وعلي الرواية الثانية:** فقد شبّه البدن بالجلد اليابس الخَلِق، وحركة الروح فيها بما يطرح في الجلد من حصاة ونحوها[1].

---

١ ينظر فتح الباري جـ٤/٣٦٧.

ومعني هذا الكلام: أن الرواية الأولي _التي معنا_ هي تشبيه مفرد بمفرد حيث شبه النفس (الضمير العائد علي النفس) بالجلد اليابس الخلق ، بجامع الضعف والبِلي في كل، وهذا أظهر في التشبيه ولا يحتاج إلي تأول.

وعلي الرواية الثانية: فإن تأويل التشبيه فيها يدل علي أنه تشبيه مركب، حيث شبه هيئة البدن وحركة الروح فيه بالجلد اليابس الخلق الذي يطرح فيه حصاة ونحوها من الأشياء الصلبة، بجامع هيئة شيء ضعيف بال يتحرك في جوانبه أشياء صلبة يابسة، وعلي كل فقد أظهر التشبيه الصورة أوضح ظهور، حيث صور المحتضر بالصوت والصورة كما يقولون، فحاله ترثي لها وتستجلب الدمع من كل قلب فيه أدني رحمة، إذ الروح لها صوت وتقعقع ، والبدن كالخرقة البالية، وصاحبه لا حول له ولا قوة.

والتشبيه عموما والتمثيلي بشكل خاص يزيد المعاني التي يقع بعدها تأكيدا في النفس، وترسيخا لها ويهيئها للقبول والتأثر بها ، إذ ينتقل الجو النفسي للمتلقي والمخاطب كما هو عند المتكلم[1].

٧-الاستفهام

في قول سعد لرسول الله -صلي الله عليه وسلم- "ما هذا؟" وهو استفهام خرج من معناه الحقيقي إلي معني التعجب، فكأن سعدا يتعجب من حال رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وقد فاضت عيناه لهذا الموقف المؤلم، تعجب سعد لأن رسول الله كان قد نهي عن البكاء، وفي رواية:"فقال سعد بن عبادة أتبكي وتنهي عن البكاء؟"[2] فهذه الرواية تعد قرينة علي التعجب ، فإن المستفهم في الحديث يسأل سؤال المتعجب الذي يستوضح الأمر بطريق غير مباشر ، إذ قد سبق لديه عكس ما يري ، من أن البكاء منهي عنه ، فكان سؤاله هذا يحمل في طياته معني التعجب الإنكاري

---

[1] ينظر الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان صـ١٤ وما بعدها.

[2] ينظر فتح الباري جـ٤/٣٦٧.

"ويسمي الاستفهام تعجبيا حين يكون صادرا من متعجب فعلا وحين يكون الغرض من إيراده إثارة العجب عند من يخاطب به أو يتلقاه"[١]. وسعد هنا يتعجب من حال الرسول ودموعه تفيض، وقد كان قد نهي عن البكاء علي الميت. فأجابه الرسول -صلي الله عليه وسلم- بما فيه إزالة لتعجبه، إذ بين الفرق بين البكاء المنهي عنه والبكاء المباح ، بأن ما كان مجرد دموع تفيض من القلب حزنا ليس فيها تسخط علي قضاء الله ، فهي دموع رحمة وشفقة ولا شيء فيها وأما ما عدا ذلك فمنهي عنه.

٨-القصر

في قوله "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"

وفي رواية "ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء"

فعلي الرواية الأولي القصر طريقه إنما ، وعلي الثانية طريقه النفي والاستثناء. وفي كل فقد قصر الله رحمته علي عباده الذين يرحمون خلقه ، وتفيض قلوبهم عطفا وشفقة عليهم، فقامت جملة القصر مقام جملتين ، مع الإيجاز، ومع تمكن الكلام في الذهن، ونفي أي شك أو إنكار عن الفكر، وإفادة معنى التعريض بمن في قلبه قسوة مع "إنما"، وإفادة التأكيد الشديد للمعنى مع النفي والاستثناء.

وساعد علي جمال الجملة وخدم المعني ما يعرف بجناس الاشتقاق ، وهو مما يلحق بالجناس فقد جمع في الروايتين بين "يرحم" و"الرحماء" وأصلهما الاشتقاقي واحد ، ولذا فإن هذا يعد من ما يلحق بالجناس وليس بجناس ، إذ المعني في أصله واحد وإن تنوع حسب الاشتقاق وصورة اللفظ ، وعلي كل فقد أعطي إيقاعا في الجملة محببا إلي النفس ، وساعد علي أن تكون الجملة جارية مجري المثل لما تحمله من معني ، ومن أسلوب يأسر العقول والألباب.

---

[١] ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ١/٢٧٨.

التحليل البلاغي للحديث الثاني

"من لا يَرحم لا يُرحم"

١-التعبير باسم الموصول

فقوله "من لا يرحم" بمعني "الذي لا يرحم"، وعلي هذا التقدير فإن المضارع مرفوع، والأسلوب خبري، ليناسب سياق الكلام، وليكون فيه تشويق لمعرفة حكم ما تضمنته جملة الصلة: أي الذي لا يرحم الناس ، ما به؟ ما حكمه؟ لا يرحم من قبل الله ، ويمكن أن يكون المراد الإشارة إلي الوجه الذي يبني عليه الخبر من ثواب أو عقاب ، فقد نوه قوله "من لا يرحم" بحكم الخبر الوارد بعده ، فإذا لم يكن في قلب المؤمن المسلم رحمة بخلق الله ، فلن يُرحم من قبل الله.

"والتعريف بالموصولية مبحث دقيق المسلك ، غريب النزعة ، يوقفك علي دقائق من البلاغة تؤنسك إذا أنت نظرت إليها بثاقب فكرك ، وتثلج صدرك إذا تأملتها بصادق رأيك، فأسرار ولطائف التعريف بالموصولية لا يمكن ضبطها بل لكل مقام اعتبار يناسبه"[١].

وكلام رسول الله -صلي الله عليه وسلم- في أعلي درجات الفصاحة والبلاغة بعد كلام الله، وكيف لا؟ وهو أفصح من نطق بالضاد ، صلوات الله وسلامه عليه.

٢-ما يلحق بالجناس

بين "يَرحم" و "يُرحم" إلحاق بالجناس وليس بجناس ، لأن الأصل في الجناس اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين[٢]، وكل من الكلمتين هنا قريب من

---

١ ينظر جواهر البلاغة للهاشمي صـ١٠٦.

٢ ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير جـ١/٢٦٢ وما بعدها -دار نهضة مصر -القاهرة.

معني الأخرى، لأنهما من أصل اشتقاقي واحد وهو الرحمة ، ولكن الفعل الأول فعل مبني للمعلوم معناه من لا تقع منه الرحمة علي خلق الله لن تصبه رحمة الله ، ولا يخفي ما أفاده الإيقاع في الجملة من التناسب والجمال في السمع، فساعد علي أن تكون الجملة جارية مجري المثل ، لما تحمله من معان وعبر ، تصلح لكل زمان ومكان.

وهي من جوامع كلمه -صلي الله عليه وسلم-.

ثانياً : السلام والمسالمة

١- من القرآن الكريم :

قال تعالي : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ سورة الأنفال-آية ٦١

قال تعالي : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنـاً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾ سورة الفرقان- آية ٦٣

توطئة :

لقد بعث الله محمدا -صلي الله عليه وسلم - بدين عظيم ، فـي قمـة أغراضه وأهدافه السلام والمسالمة ، ليعيش الناس آمنـين علـي أنفسـهم وأعراضهم وأموالهم ، ولهذا شرع السلام للمؤمنين في تحية اللقاء ، وفـي تحية الانصراف من الصلاة ، ليكون شعارا لهم في غـدوهم ورواحهـم ، وفي مجتمعهم ، وفي مساجدهم ونواديهم ، وفي ردهم علي من يجهل عليهم ، قال تعالي " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً....". وحيث كان السلام شعار الإسلام ، فالمراد منه معناه حقيقة، وهو: السلامة والأمان ، ومن دواعيه أن نتجاوز عن مساءة أخيك ... كذلك يدعونا ربنا عز وجل للسلام مع الغير بقوله " وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ".

والجنوح من جنح بمعني مال[1] أي إن مالوا وأقبلوا في نشاط وطلـب جازم للسلم والمصالحة فوافقهم إلي طلبهم للسلم، إذا كان هذا فيه صـلاح

---

[1] ينظر لسان العرب مادة سلم وجنح ، وسماحة الإسلام -د/محمـد عبـد العزيـز قريشـي صـ٤٢، ٤١ باختصار .

للمسلمين. والأمر بالجنوح لجماعة المشركين واليهود السابق ذكرهم في السورة، ثم أمر بالتوكل علي الله ليكون النبي معتمدا في جميع شأنه على الله تعالي، فهو السميع لكل ما أبرموه العليم بكل الأحوال. والسلم في الآية بالكسر والفتح ورد في معناه أنه الإسلام والصلح والسلام والمسالمة[١].

أما آية الفرقان فهي تتحدث عن صفات عباد الرحمن الذين نسبهم إليه تشريفا وتعظيما فإن من أهم صفاتهم أنهم هينون لينون ، والهون : الخفة والرفق واللين والتواضع و"يمشون هونا" هو وصف لسيرتهم بالنهار[٢]، أي: يمشون في سكينة ووقار من غير أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضي تصنعا ورياء. وإذا تعرض لهم غيرهم من الناس بسوء ردوا عليه بالخير وقالوا قولا فيه سلام وتسليم وفيه العفو والصفح فهم يقابلون السيئة بالحسنة حيث صدرت السيئة من جاهل حقيقة أو حكما ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، فإن كان المسيء قاصدا عامدا للإهانة فهم يدفعون عنهم الذل والعار، ويضربون علي يد السفيه الأحمق المعاند حتى يكون عبرة له ولغيره[٣].

---

١ حاشية الشهاب جـ٤/ ٤٩٨ بتصرف، ونظم الدرر جـ٣/ ٢٣٧ بتصرف، وينظر التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية صـ٥٧.

٢ ينظر اللسان مادة هون، والتفسير الكبير جـ٢٣/١٠٧، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني جـ٢/٣٠٩ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -القاهرة١٩٩٥م.

٣ ينظر الكشاف جـ٣/٩٩، وحاشية الشهاب جـ٧/١٥٣، ونظم الدرر جـ ٥/ ٣٣٤، والتفسير الواضح د/محمد محمود حجازي -المجلد الثاني جـ١٩/٣٠-مكتبة الزقازيق.

التحليل البلاغي للآيتين:

- قال تعالي :﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾. الأنفال-٦١.

١- الاستعارة

في قوله " وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا" والمراد بها : " فإن مالوا إلي السلم ميل ثبات عليه، وركون إليه ، لا ميل مكر ومخادعة وإدهان وموارية ، فسالمهم علي هذا الوجه الذي طلبوا السلم عليه[١] فقد شبه ميلهم إلي الصلح بجنوح الطائر إذا أراد النزول ، والمعني : إن مالوا إلي السلم ميل القاصد إليه، كما يميل الطائر الجانح بجامع الرغبة القوية والقصد في كل. ولعل هذا هو السر في إيثار أسلوب الاستعارة هنا حيث أراد التنبيه علي أنه لا ينبغي أن يجيبهم إلي مجرد طلبهم للسلم، بل عليه أن يعلم وأن يتأكد أن حالهم في طلب المسالمة طلب الراغب الصادق، القاصد إلي المسالمة حقا دون موارية أو خداع.

ولتقوية هذا التنبيه عدي الفعل جنح باللام دون إلي، أي : وإن مالوا لأجل السلم ورغبة فيه لا لغرض آخر غيره[٢].

وقوله " فَاجْنَحْ لَهَا " أيضا استعارة كسابقه، وهو أيضا مشاكلة لقوله " وَإِن جَنَحُوا " وقد تقدم تعريف المشاكلة ، وقد ذكر هنا الأسلوب علي طريق المشاكلة ليبين أنه إذا كان الميل منهم صادقا حقا في الصلح فلا بد أن يجيبهم إلي ذلك إذا كان فيه صلاح لعامة المسلمين بنفس القوة والرغبة ، فشاكل بين اللفظين ليتقارب الجو النفسي بين المعنيين.

---

[١] تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي صـ٨٤.منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

[٢] ينظر التحرير والتنوير –المجلد الخامس جـ١٠/٥٩.

٢- الوصل

بين قوله "فاجنح لها " وقوله " وتوكل علـــي الله " إذ إن كـــلا مـــن الجملتين إنشائي لفظا ومعني، فقد عقب الأمر بالجنوح، بالأمر بالتوكل علي الله، وسر هذا الوصل ما يعرف بالتوسط بين الكمالين ، حيث اتفقت كلا من الجملتين في الإنشائية معني ولفظا.

وإيثار الأسلوب القرآني الوصل في الآية لإفادة معني الاعتماد علـــي الله في كل الشئون والأحوال أي : جاوبهم في طلبهم للصلح وكن متـــوكلا دوما علي الله مفوضا كل الأمور إليه لتكون مدة المسالمة والصـــلح مـــدة إعداد وتقوٍّ ، وليكفيك الله شرهم إذا نقضوا عهدهم ، ولذا كان ختام الآيـــة بالسميع العليم.

والفصل والوصل في اللغة العربية هو ما ينبغي أن يصنع في الجمـــل من عطف بعضها علي بعض أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثـــورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى . وهو من أسرار البلاغة، ومما لا يتـــأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلَص، وإلا قوم طبعوا علـــي البلاغـــة، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد[١]. فهو حليـــة الكتابـــة وجمالها ، وهو مبني علي المعرفة الدقيقة بمعاني الـــنفس فـــي الصـــيغة التعبيرية ، وقد يسمي الفصل والوصل ببراعة التخلص في جوانبه الكثيرة.

واللغة العربية لغة تجسمت فيها الدقة في الفصل، والدقة في الوصـــل، الذي يؤدي إلي التناسق الفني في الكلام ، أي أن يكون الكلام في صـــورة جميلة أخاذة فيها انسجام ، تسترعي الانتباه ، وتريح الحواس ، وتتماشي مع الذوق الرفيع ، بحيث لا خلل

---

١ ينظر دلائل الإعجاز صـــ٢٢٢.

ولا فوضي، بل تراص والتحام في فن بديع[١].

والقرآن الكريم بلغته المتربعة علي القمة في البلاغة والإعجاز قد بلغ الصورة الفنية الرائعة، التي لا يمكن أن يرتقي إليها في كل ألوان البلاغة كلام آخر، وبخاصة في مواطن الفصل والوصل ، فإن مواطن الفصل والوصل في القرآن الكريم تأتي دائما في أماكنها لتخدم الغرض المسوق من أجله الكلام أتم خدمة وأوفاها في تناسق فني بليغ.

٣-القصر

في قوله تعالي " إنه هو السميع العليم " حيث أفاد معني الكمال في السمع والعلم ، أي: فهو سميع منهم مالا تسمع ، ويعلم مالا تعلم. وقَصْر هذين الوصفين بهذا المعني علي الله تعالي عقب الأمر بالتوكل عليه يفيد الأمر بقصر التوكل عليه لا علي غيره ، وفي الجمع بين الأمر بقصر التوكل عليه وبين الأمر بإعداد ما استطاع من القوة للعدو: دليل علي أن التوكل أمر غير تعاطي أسباب الأشياء ، فتعاطي الأسباب فيما هو من مقدور الناس ، والتوكل فيما يخرج عن ذلك[٢].

وأسلوب القصر الاصطلاحي في الآية في قوله "إنه هو السميع العليم " وطريقه تعريف الطرفين حيث جاء المقصور والمقصور عليه معرفتين، فالمقصور معرف بالألف واللام والمقصور عليه ضمير وهو أعرف المعارف ، ومعني القصر استفيد من تعريف المقصور بالألف واللام التي تفيد الجنس بشكل خاص ، حيث يقول الإمام عبد القاهر في بيان الأوجه المستفادة من تعريف الخبر بالألف واللام علي معني الجنس : أن تقصر

---

[١] ينظر الإعجاز الفني في القرآن لعمر السلامي صـ١٦٢،١٦٣ بتصرف – نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله-تونس ١٩٨٠م.

[٢] ينظر التحرير والتنوير– المجلد الخامس جـ١٠/٥٩.

جنس المعني الذي تفيده بالخبر علي المخبر عنه ، لا علي معني المبالغة وترك الاعتداد بوجوده في غير المخبر عنه بل علي دعوي أنه لا يوجد إلا منه....[١].

وقد أفاد التعريف في الآية القصر الحقيقي ، إذ ليس هناك مبالغة في معني الآية ، فإن الله حقيقة هو السميع لكل شيء العليم بكل الأحوال.

٤-مراعاة الفاصلة لمعني الآية :

وكما تبين من أسلوب القصر في ختام الآية من قوله " إنه هو السميع العليم" وما أفاده من قصر صفتي السمع والعلم علي الله سبحانه قصرا حقيقيا. ليبين أن إتباع أوامر الله والتوكل عليه بعد الأخذ في الأسباب من أهم أسباب النصرة. لأنه هو الذي يكفيك شر عدوك مهما كان، فهو السميع بكل ما يقولونه ولو لم يبلغك ، والعليم بكل أحوالهم وما يكيدونه ولو لم تعرفه. ومن هنا فقد ناسب أن تختم الآية الكريمة بهاتين الصفتين الكريمتين، والاسمين الجليلين دون غيرهما ، لما لهما من ارتباط وثيق بمعني الآية ، وبجملة "الفاصلة" تم المعني.

علاوة علي ما فيها من زيادة تثبيت وطمأنة لرسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، فإن في جنوح الأعداء إلي السلم، وطلبهم له من الممكن أن يكون فيه جانب مخادعة ومواربة ، لذا فإن في الأمر بالتوكل علي الله السميع العليم فيه تثبيت للرسول -صلي الله عليه وسلم- وطمأنة له بأنه سيكفيه شرهم إذا نقضوا عهدهم.

---

١ ينظر دلائل الإعجاز صـ١٨٠،١٧٩ وما بعدها.

- قال تعالي : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنـاً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾ الفرقان ٦٣

١- التعريف بالإضافة

في قوله تعالي :" وعباد الرحمن" حيث أضاف العباد إلي الـرحمن ، ومعلوم أن العبودية للرحمن أعلي صفة للإنسان ، بل أعطيت لأكرم الرسل وخاتم الأنبياء -صلي الله عليه وسلم-، قال تعالي:" تَبَـارَكَ الَّـذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ " الفرقان آية١، فدل ذلك علي أن هذه الصفة من أشرف صفات المخلوقات ، ولا تعطي إلا للمشتغلين بالعبودية حقا وإلا فالكل عبد لله ، وإضافتهم إلي الـرحمن أي دون غيـره مـن أسـمائه وضـمائره لتخصيصهم برحمته ، أو لتفضيلهم علي من عداهم وتشريفهم أيما تشريف، لكونهم مرحومين منعما عليهم، كما يفهم من فحوي الإضافة إلي مشتق ، أو التعريض بمن أبو السجود للرحمن في الآيات السابقة علي الآية[1].

والأظهر في معني الإضافة هنا هو التفضيل والتشريف ، حيث إن فيه معني الرفعة ، كما أن الإضافة إلي وصف الرحمن الأبلغ إشارة إلي أنهـم متصفون بهذه الصفة ، وهي تستوجب تشريفهم، ووصفهم بهـا يمكـن أن يكون تبشيرا لهم علي رحمتهم للعباد في الدنيا ، فإنهم بهـذا يسـتحقون أن يكونوا محلا لنزول رحمة الله بهم يوم العرض عليه.

كل ذلك استفيد من التعريف بالإضافة. هذا وللتعريف بالإضافة دواع أخري تستدعي في أساليب أخري إذا اقتضاها المقام واستدعاها السياق.

والتعريف بالإضافة هنا قد أفاد الإيجاز أيضا لأنه أتي بـالمعني مـن

---

[1] ينظر الكشاف جـ٣/٩٩،حاشية الشهاب جـ٧/١٥٢: ١٥٣، والتحرير والتنـوير -المجلـد الثامن جـ١٩/١٦: ٧٠، والتفسير الواضح د/محمد محمـود حجـازي المجلـد الثـاني جـ١٩/٣٠، وخصائص التراكيب د/أبو موسي صـ١٦٢.

أخصر الطرق، واستحضره في ذهن السامع[١]. فكان قوله " عباد الرحمن" أقصر وأحصر من لو قال " من يعبدون الله ويرحمون عباده" إذ أفاد التعبير بعباد وإضافته للرحمن نفس المعنى، ولكن في صورة مختصرة قصيرة موجزة، كما أفادت معني التعظيم والتشريف المشار إليه سابقا.

٢- سر التعبير باسم الموصول

في قوله " وعباد الرحمن الذين يمشون علي الأرض هونا" حيث إن "عباد الرحمن" مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل: وعباد الرحمن الذين هذه صفتهم "أولئك يجزون الغرفة" ، ويجوز أن يكون خبره "الذين يمشون"[٢] وهو الراجح[٣].

وعلي هذا فإن اسم الموصول وصلته واقعان موقع المسند أو صفة للمسند إليه. واسم الموصول هو: اسم مبهم الدلالة لولا صلته الكاشفة للمراد به، والمعرفة حقا بما يراد الدلالة عليه. وهذا الإبهام الأولي في اسم الموصول يحدث في نفس المتلقي تشوفا وتشوقا لمعرفة المراد به عن طريق صلته ، فهو بسبب استثارته للداعي النفسي إلي المعرفة يعتبر من أدوات البيان التي تنفتح لها أبواب النفس انفتاحا تلقائيا، فتتلقفها بالدافع الذاتي إلي المعرفة ومن هنا تبدو لنا ميزة خاصة لاسم الموصول لا توجد في غيره ، ويضاف إلي هذه الميزة أن صلة الموصول قد تتضمن بيانا لمعان مهمة تؤدي بكلام تام يقصد المتكلم بيانها، وتوصيلها إلي من يوجه له الكلام.

ومن ضمن الدواعي البلاغية لاختيار اسم الموصول في الكلام: هو

---

١ ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي صـ١٠٩ وما بعدها -دار الكتب العلمية-بيروت.

٢ ينظر الكشاف جـ٣/٩٩.

٣ ينظر نظم الدرر جـ٥/٣٣٤.

إرادة الوصف بما تضمنته جملة الصلة ، وإرادة زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام لما في صلة الموصول من ظلال ودلالات موحية ، وقد يتخذ اسم الموصول مع صلته ذريعة لتعظيم الموصوف به ، إذ اتصافه بما تضمنته صلة الموصول من وصف عظيم يدل علي أنه عظيم ، وأيضا للإشارة إلي أن الوصف الذي دلت عليه صلة الموصول هو علة بناء الحكم في الجملة...إلخ الدواعي البلاغية[1] والمراد من اختيار اسم الموصول في الآية يمكن أن يكون كل ما ذكر من دواع هنا.

فالقرآن الكريم لما أراد أن يصف هؤلاء العباد وما هم عليه بطريقة تتشوق لها النفس، كان اسم الموصول أنسب الطرق، لأنه جاء وافيا لهذا الغرض، بل كان في جملة الصلة زيادة تقرير للغرض المسوق من أجله الكلام، لما فيها من ظلالات ودلالات توحي بمدي تشريف وتكريم هذه الفئة من قبل الله تعالي، فهم ابتداءً عباد للرحمن، و ثانيا متصفون بطريق الإطناب بإحدى عشرة صفة، عبر في أغلبها باسم الموصول، كما أن في وصفهم بهذه الصفات عن طريق اسم الموصول تعظيم وتشريف لهؤلاء المتصفين بهذه الصفات، فإن عباد الرحمن هم من اتصفوا بهذه الصفات الجليلة والعظيمة فنالوا الشرف بهذه الصفات. وعلي تقدير أن الخبر هو "أولئك يجزون الغرفة" فإن الوصف الذي دلت عليه صلة الموصول يدل علي علة هذا الحكم ، فإنهم لاتصافهم بهذه الصفات ستكون لهم الغرفة، أي: المنزل الأعلى في الجنة. كل هذه المعاني أفادها مجيء اسم الموصول في الآية الكريمة، فسبحان من هذا كلامه.

٣-الوصل

بين قوله تعالي " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...." وبين الآية التي قبلها " وَهُوَ الَّذِي

---

[1] ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ١/٤٢٨ وما بعدها بتصرف.

جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً " وكل من الجملتين خبري لفظا ومعني فهو توسط بين الكمالين ، مع وجود الجامع والمناسبة للعطف ، حيث إنه سبحانه لما وصف الكفار في هذه السورة بما وصفهم به من الفظاظة والغلظة علي النبي -صلي الله عليه وسلم- ، وعداوتهم له ، ومظاهرتهم علي خالقهم ، ونحو ذلك من جلافتهم ، وختم بالتذكر والشكر ، وكأن التقدير: فعباد الشيطان لا يتذكرون ولا يشكرون ، لما لهم من القسوة، عطف علي هذا المقدر أضدادهم ، واصفا لهم بأضداد أوصافهم ، والوصل هنا بين الجملتين أفاد حسن التخلص ، فبعد أن ذكر ما ذكر من صفات عباد الشياطين ، واستطرد بقوله "وهو الذي جعل الليل والنهار..." وما قبلها عطف " وعباد الرحمن " علي "وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة" حتى تستكمل السورة أغراض التنويه بالقرآن ومن جاء به ومن اتبعوه ، وهذا من ضمن أهداف ومقاصد سورة الفرقان ، وهذا من أبدع التخلص ، إذ كان مفاجئا للسامع مطمعا أنه استطراد عارض كسوابقه حتى يفاجئه بعد أن ينتهي من ذكر صفات عباد الرحمن بما يؤذن بالختام وهو " قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً "[1].

وحسن التخلص عند علماء البيان هو أن يسرد الناظم والناثر كلامهما في مقصد من المقاصد غير قاصد إليه بانفراده، ولكنه سبب إليه، ثم تخرج فيه إلي كلام هو المقصود، بينه وبين الأول علقة ومناسبة[2].

٤- مجاز لغوي وكناية

في قوله " يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً " استعارة أو مجاز مرسل أو كناية.

وفي قوله " سلاما " مجاز مرسل.

---

١ ينظر نظم الدرر جـ٥/٣٣٤، والتحرير والتنوير المجلد الثامن جـ١٩/٦٦،٦٧ بتصرف.

٢ ينظر الطراز للعلوي اليمني جـ٢/٣٣٠ -دار الكتب العلمية-بيروت.

فعلي رأي جمهور المفسرين، فإن المراد بـ" يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً " أي: مشية ليس فيها كبر ولا بطر، ولا يضربون بأرجلهم خيلاء وكبرا ، وهو حقيقة لا مجاز فيها.

واختار ابن عطية أن المراد مدحهم بعدم الخشونة والفظاظة في سائر أمورهم وتصرفاتهم، والمراد أنهم يعيشون بين الناس هينين في كل أمورهم. وذكر المشي لأنه انتقال في الأرض، وهو يستدعي معاشرة الناس ومخالطتهم، واللين مطلوب فيها غاية الطلب ، ثم قال: وأما أن يكون المراد مدحهم بالمشي وحده هونا فباطل فكم ماش هونا رويدا وهو ذئب أطلس[١].

وعلي تفسير ابن عطية فإن الآية فيها مجاز مرسل مركب ، حيث عبر بجملة " يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً" وأراد يعاملون الناس برفق ، لأن المشي في الأرض يستلزم معاشرة الناس ومخالطتهم ، فالعلاقة اللزومية ، وإن كان في آخر كلامه ما يفيد أن المراد المعنيان معا: المشي بتواضع ، ومعاملة الناس برفق ، وعلي هذا الاعتبار يكون الكلام علي الكناية أولي لأن قرينة الكناية لا تمنع من إيراد اللفظ ولازمه.

وأورد صاحب التحرير والتنوير قولا عن زيد بن أسلم بأن في الآية استعارة ، ومعناها: "الذين لا يريدون أن يفسدوا في الأرض"، فجعل يمشون علي الأرض هونا" استعارة للعمل في الأرض ، كقوله تعالي :" وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا " البقرة ٢٠٥، وأن الهون مستعار لفعل الخير لأنه هون علي الناس، كما يسمي بالمعروف، فهو وصف لسيرهم بالنهار[٢].

وعلي هذا الرأي فإن الآية استعارة مركبة، حيث شبه التعامل مع

---

١ ينظر روح المعاني للألوسي جـ١٩/٤٤-دار الفكر -بيروت ١٩٧٨.

٢ ينظر التفسير الكبير جـ٢٣/١٠٧،والتحرير والتنوير المجلد الثامن جـ١٩/٦٩.

الناس برفق ورحمة بالمشي هونا بجامع هيئة اليسر والسهولة في كل، وذلك لإظهار شرف عباد الرحمن ، فإنهم يتعاملون مع الناس بيسر وسهولة ورفق ولين ورحمة، كما لو كانوا يمشون ، ومعلوم أن المشي والتنقل سهل علي كل أحد يسر الله له أداة المشي ، فهم لا يجدون في أنفسهم عنتا ولا مشقة في التعاطي والتعامل مع الناس بحلم ورحمة ، وفيه ترغيب لكل مؤمن مسلم وحث له علي أن يكون من هذه الطائفة الكريمة.

وللاستعارة – والمركب منها خاصة- منزلة في الكلام ، فإنها تفخم المعني ، وبها ينبل ويشرف ويكمل، وذلك لأن أنس النفوس موقوف علي أن تخرجها من خفي إلي جلي ، وتأتيها بصريح بعد مكني وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلي شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم..... أو أن يكون المعني الممثل غريبا يحتاج في دعوي كونه علي الجملة إلي بينة وحجة وإثبات ....[1].

والنص القرآني يتسع لكل هذه الآراء إذ إن الألوان البلاغية لا تتزاحم ، وإنما تتعاون في إظهار المعني وإيصال مدلولاته، ولكن أقربها إلي الصواب أن تكون كناية أي كدعوي الشيء ببينة ودليل، وذكر اللازم في الكلام هو الدليل والبينة، ثم أن تكون استعارة، ثم مجازا مرسلا.

أما قوله "سلاما" فقد ورد أن المراد منه التسلم والسلامة ، وهو المتاركة أي: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا نتسلم منكم تسلما لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر ، فأقيم السلام مقام التسلم، وليس المراد لفظ التحية، فيكون السلام مستعملا في لازمه وهو المتاركة، لأن أصل استعمال لفظ السلام في التحية أنه يؤذن بالتأمين، أي: عدم الإهاجة، فتكون الآية في

---

١ ينظر أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني صـ١٢١: ١٢٣ وما بعدها د/ محمود محمد شاكر –مطبعة المدني –القاهرة.

معني قوله " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ " القصص آية ٥٥، وقيل: قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم[١].

ومن هنا يمكن القول بأن التعبير بلفظ " سلاما" مجاز مرسل علاقته اللزومية، لأن ترك الشر والتسلم من أهله مستلزم للسلام ، فاستعمل اللازم وهو "السلام" وأراد الملزوم المفهوم من طي الكلام، وهو متاركة أهل الشر والتسلم منهم. والمجاز المرسل فوائده جليلة في الكلام[٢] – وإن قلّت – فهو فرصة في إمداد الكلام بنوع محدود من المبالغة في المعني، كما أنه يحقق مزية الإيجاز في القول ، وقد ساعد هنا خاصة علي تمكين الفواصل، فإن كلمة "سلاما" جاءت فاصلة للآية ، وموافقة في حرف الروي للآيات التالية لهذه الآيات، والتي ختمت بـ" قياما – غراما – مقاما..." .

وأخيراً: فإن في التعبير بـ"هونا" وهو حال أو صفة للمشي – وهو مصدر بمعني مشيا هينا- موضع الصفة مبالغة[٣]؛ لأن التخلق بهذا الخلق مظهر من مظاهر التحلي بالرحمة المناسب لعباد الرحمن، فالرحمة ضد الشدة ، والهون يناسب ماهيتها، إذ فيه سلامة من صدم المارين، علي معني المشي حقيقة ، وسلامة من إيذاء الناس إذا أريد بالمشي معاشرتهم والتعامل معهم.

---

١ ينظر الكشاف جـ٣/٩٩،ونظم الدرر جـ٥/٣٣٥، والتحرير والتنوير المجلد الثامن جـ١٩/٦٩-ط١/١٩٩١م.

٢ ينظر الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان صـ١٤٠ أ /أحمد محمد الحجاز – دار الإتحاد العربي.

٣ ينظر التفسير الكبير جـ٢٣/١٠٧.

معني قوله " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ " القصص آية ٥٥، وقيل: قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم[١].

ومن هنا يمكن القول بأن التعبير بلفظ " سلاما" مجاز مرسل علاقته اللزومية، لأن ترك الشر والتسلم من أهله مستلزم للسلام ، فاستعمل اللازم وهو "السلام" وأراد الملزوم المفهوم من طي الكلام، وهو متاركة أهل الشر والتسلم منهم. والمجاز المرسل فوائده جليلة في الكلام[٢] – وإن قلّت – فهو فرصة في إمداد الكلام بنوع محدود من المبالغة في المعني، كما أنه يحقق مزية الإيجاز في القول ، وقد ساعد هنا خاصة علي تمكين الفواصل، فإن كلمة "سلاما" جاءت فاصلة للآية ، وموافقة في حرف الروي للآيات التالية لهذه الآيات، والتي ختمت بـ" قياما – غراما – مقاما..." .

وأخيراً: فإن في التعبير بـ"هونا" وهو حال أو صفة للمشي – وهو مصدر بمعني مشيا هينا- موضع الصفة مبالغة[٣]؛ لأن التخلق بهذا الخلق مظهر من مظاهر التحلي بالرحمة المناسب لعباد الرحمن، فالرحمة ضد الشدة ، والهون يناسب ماهيتها، إذ فيه سلامة من صدم المارين، علي معني المشي حقيقة ، وسلامة من إيذاء الناس إذا أريد بالمشي معاشرتهم والتعامل معهم.

---

١ ينظر الكشاف جـ٣/٩٩،ونظم الدرر جـ٥/٣٣٥، والتحرير والتنوير المجلد الثامن جـ١٩/٦٩-ط١/١٩٩١م.

٢ ينظر الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان صـ١٤٠ أ /أحمد محمد الحجاز – دار الإتحاد العربي.

٣ ينظر التفسير الكبير جـ٢٣/١٠٧.

تابع ثانيا : السلام والمسالمة

٢- من السنة النبوية

- روي البخاري عن أنس بن مالك[١] أن رسول الله -صلي الله عليه وسلم- قال: " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال"

وفي رواية ثانية في البخاري عن أبي أيوب الأنصاري[٢] أن رسول الله - صلي الله عليه وسلم- قال: "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"[٣]

---

١ هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الإمام المفتي المقرئ المحدث ، خادم رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وقرابته من النساء ، وتلميذه روي عن النبي علما جما ، وروي عنه خلق عظيم ، قدم رسول الله المدينة وهو ابن عشر سنين ، ومات وهو ابن عشرين سنة ، صحب النبي أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر حتى مات سنة٩٣هـ عن مائة وثلاث سنين. ينظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي جـ٣/٣٠٥-٣١١.

٢ هو أبو أيوب الأنصاري الخزرجى البخاري البدري الذي خصه النبي -صلي الله عليه وسلم بالنزول عليه في بني النجار، إلي أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة، وبُني المسجد النبوي. اسمه: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن الخزرج ،مات سنة ٥٢هـ، ودفن بأصل حصن القسطنطينية. ينظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي جـ٢/٤٤٨.

٣ ينظر فتح الباري لشرح صحيح البخاري جـ١٦/٣٨١ -كتاب الأدب -باب الهجرة حديث رقم ٦٠٧٦، ٦٠٧٧، وصحيح البخاري بشرح السندي جـ٤/٦٠،٦١،٦٢ -كتاب الآداب -باب ما ينهي عن التحاسد والتدابر، وباب الهجرة،وصحيح مسلم جـ٢/٤٢٢،٤٢٣ -دار الكتب العلمية -بيروت.

- روي الإمام مسلم أن عبد الله بن عمرو بن العاص[1] قال: إن رجلا سأل رسول الله -صلي الله عليه وسلم- أي المسلمين خير؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده" وفي رواية أخري عند مسلم أن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"

المعني العام للحديث الأول بروايتيه:

نهي الحديث الأول المسلمين عن التباغض والتحاسد والتدابر نهي تحريم ، والتباغض ضد التحاب ، أي: لا يكره بعضكم بعضا ، إذ إن المجتمع المسلم بحق هو الذي يسوده روح الحب والتعاون علي البر والسلام.

والتحاسد من الحسد، وهو: تمني زوال نعمة المحسود وتحولها إلي الحاسد ، وهذا النهي الثاني عن أن يكون بين المسلمين هذه المشاعر البغيضة التي هي أساس الكراهية والعداوة فالمسلم الحق يدعو دوما لأخيه بالخير ، ولا يتمني مطلقا زوال نعمته وأن تتحول إليه ، بل له أن يغبطه، والغبطة هي: أن يتمني أن يكون له مثلها دون أن تزول من صاحبها.

النهي الثالث عن التدابر، وهو: التعادي والتقاطع ، والمصارمة والهجران ، وهو كالنتيجة للنهي السابق ، فإن الحسد يولد العداء والهجران والمقاطعة ، كل هذا نهي عنه الشارع الحكيم لأنه يقطع أواصر المجتمع ، ويجعله فرقا وأحزابا، ولذا فقد عقّب علي النواهي الثلاثة بالأمر "وكونوا عباد الله

---

[1] هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب. الإمام الجدّ العابد ، صاحب رسول الله وابن صاحبه ، قد أسلم قبل أبيه ، وكان اسمه العاص فلما أسلم سماه النبي-صلي الله عليه وسلم- عبد الله ، وكان غزير العلم مجتهدا في العبادة ، كتب الكثير بإذن النبي وترخيصه له في الكتابة بعد كراهيته للصحابة أن يكتبوا عنه سوي القرآن، مات بين سنة ٦٣، ٦٥هـ. ينظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي جـ٣/١٤٤-١٥١.

إخوانا"، لأن الأخوة في الله تنافي الوقوع في الأمور الثلاثة المنهي عنها، وتأكيدا لهذا المعني أتي الحديث الشريف بصورة كثيرا ما تحدث بين الأخوة في النسب، ناهيك عن أخوة الدين، فقال الحبيب ﷺ: "ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" وفي الرواية الثانية "ولا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"، فنص في الرواية علي أن هذا حرام علي المسلم ، وعمّم في الرواية الثانية بقوله "لا يحل لرجل" ليدل علي أنه من صفات الإنسان الحق ناهيك عن أن يكون مسلما، والتعبير بـ"رجل" تغليب فيدخل فيه الإناث أيضا، وحدد الشارع الحكيم مدة الهجر بثلاثة أيام دون زيادة مراعاة للنفس البشرية ، وما تكون فيه حال الغضب من ثورة المشاعر وفورانها ، ومدة الأيام الثلاثة كافية لأن ترجع الأمور إلي نصابها الصحيح، والزيادة عليها مخالفة صريحة لأوامر الشارع ، هذه القطيعة تزول بمجرد السلام من أحدهما والرد من الآخر علي رأي جمهور العلماء والبادئ خير من الرادّ بالسلام، لأنه تغلّب علي الكبر في نفسه، وتواضع لحكم الله عز وجل[1].

المعني العام للحديث الثاني بروايتيه

بدأ الحديث بأن أحد الناس قد سأل الرسول -صلي الله عليه وسلم- "أي المسلمين خير؟ أي: في خصاله وأموره وأحواله ، فكان جواب الرسول -صلي الله عليه وسلم-: "من سلم المسلمون من لسانه ويده" أي: لم يؤذ مسلما بقول ولا فعل ، فإن المسلم الكامل لا يقع منه هذا في حق أخيه المسلم، ومعلوم أن كمال الإسلام يتعلق بخصال كثيرة، ولكنه نص هنا علي هذه الصفة بالذات ، لأن الكف عن إيذاء المسلمين ضرورة دينية، تتعلق بمصلحة المسلمين العامة، وفيها من المكارم ما يجعلها تنال شرف أن تكون من خير خصال الإسلام، وفي الحديث حث علي تآلف قلوب المسلمين ، واجتماع كلمتهم وتوادهم ومسالمة الحق وإفشاء السلام الذي هو شعار الأمة[2].

---

١ ينظر لسان العرب مادة بغض – حسد –دبر ، وفتح الباري جـ١٦/٣٨١ بتصرف.

٢ ينظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ٢/١١،١٠.

التحليل البلاغي للحديث الأول بروايتيه:

١-التعريف

تعريف المسند إليه بالإضافة ، والمسند باسم الموصول في قوله "خيرهما الذي يبدأ بالسلام" علي تقدير أن المبتدأ والخبر علي الترتيب الوارد في الجملة.

والتعريف بالإضافة وباسم الموصول لهما دورهما الذي لا يغفل في الكلام. فتعريف المسند إليه "خيرهما" بالإضافة للإشارة إلي تعظيم المضاف إليه[1] وهو ضمير المتخاصمين لإثبات صفة الخير فيهما، وإن كان أحدهما فاضلا عن الآخر وهو البادئ بالسلام منهما.

أما تعريف المسند باسم الموصول، فإنه لإرادة الوصف بما تضمنته جملة الصلة[2]، وما في معناها من تعظيم وتشريف لا تدل عليه ألوان التعريف الأخرى ، كل هذا مع الإيجاز في العبارة ومطابقة الكلام لمقام الترغيب في عدم الهجر لأكثر من ثلاثة أيام، وأن البادئ بالسلام هو الأفضل.

٢-سر التعبير بالأخوة في الحديث ليدل علي أن للمسلم أن يهجر الكافر من غير تقييد، أما الهجر والمقاطعة بين المسلمين فلا تزيد عن ثلاثة أيام لتهدأ النفوس ، وتخبو جذوة الغضب ، ويصبح الإنسان أكثر هدوءا وتقبلا للصلح. وهذا مدعاة لتماسك المجتمع المسلم، وأبعد لفرقته وتمزقه.

---

[1] ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ١/٤٤٩.

[2] ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ١/٤٢٨ وما بعدها.

التحليل البلاغي للحديث الأول بروايتيه:

١-التعريف

تعريف المسند إليه بالإضافة ، والمسند باسم الموصول في قوله "خيرهما الذي يبدأ بالسلام" علي تقدير أن المبتدأ والخبر علي الترتيب الوارد في الجملة.

والتعريف بالإضافة وباسم الموصول لهما دورهما الذي لا يغفل في الكلام. فتعريف المسند إليه "خيرهما" بالإضافة للإشارة إلي تعظيم المضاف إليه[١] ،وهو ضمير المتخاصمين لإثبات صفة الخير فيهما، وإن كان أحدهما فاضلا عن الآخر وهو البادئ بالسلام منهما.

أما تعريف المسند باسم الموصول، فإنه لإرادة الوصف بما تضمنته جملة الصلة[٢]، وما في معناها من تعظيم وتشريف لا تدل عليه ألوان التعريف الأخرى ، كل هذا مع الإيجاز في العبارة ومطابقة الكلام لمقام الترغيب في عدم الهجر لأكثر من ثلاثة أيام، وأن البادئ بالسلام هو الأفضل.

٢-سر التعبير بالأخوة في الحديث ليدل علي أن للمسلم أن يهجر الكافر من غير تقييد، أما الهجر والمقاطعة بين المسلمين فلا تزيد عن ثلاثة أيام لتهدأ النفوس ، وتخبو جذوة الغضب ، ويصبح الإنسان أكثر هدوءا وتقبلا للصلح. وهذا مدعاة لتماسك المجتمع المسلم، وأبعد لفرقته وتمزقه.

---

١ ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ١/٤٤٩.

٢ ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ١/٤٢٨ وما بعدها.

التحليل البلاغي للحديث الثاني:

١- التعريف باسم الموصول

في قوله "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" فإن فيه تشويق إلي الخبر ، وإرادة الوصف بما تضمنته صلة الموصول، وأن مدلول جملة الصلة هو علة الحكم في الجملة، فإن المسلم لا يكون مسلما كامل الإسلام إلا إذا سلم المسلمون من أذاه قولا وفعلا ، كل هذا أفادته جملة الصلة وما فيها من دلالات ومعان، لا يمكن التوصل إليها بأي طرق التعريف الأخرى.

٢-ما يلحق بالجناس

في قوله "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" وهو من جوامع كلمه -صلي الله عليه وسلم- فقد جاءت ألفاظ الحديث مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد بين "مسلم" و"سلم"، ومعلوم أن التجنيس عموما لا يستحسن تجانس اللفظين فيه إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمي الجامع بينهما مرمي بعيدا[١]. وهو ما يظهر في نص الحديث الشريف.

٣-تخصيص اليد واللسان بالذكر

وذلك لأن ما يؤذي الناس يكون فعلا أو قولا في الغالب، والفعل أداته اليد، والقول أداته اللسان، فكأن في ذكرهما دون الإشارة إلي الفعل أو القول مبالغة في الترهيب والتنفير عن أن يصدر عنهما أي شيء يؤذي الإنسان، حتى ولو لم يكن فعلا بالمعني المعروف، أو قولا بالطريق المألوف.

ولعل ما قوّي هذا التشديد وتلك المبالغة العموم المستفاد من "ال" في "المسلم"، إذ ليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة، بل المراد المسلم الكامل الإسلام[٢]، فهو علي سبيل التفضيل لا الحصر ، ولكنه أتي بهذه الصورة ليزيد في الترغيب بالتحلي بهذه الصفة، ليسلم الناس من إيذاء بعضهم البعض ، ويسود السلام والوئام بين أفراد المجتمع المسلم.

---

١ ينظر أسرار البلاغة صـ٧، والمثل السائر جـ١/٢٦٩ وما بعدها، والإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ٢١ -دار صعب -بيروت.

٢ ينظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ٢/١٠.

خاتمة البحث

وبعد...

فإن الغوص في كتاب الله، وفي نصوص حديث رسول الله يثمر دائما الغالي النفيس، ومع هذه الآيات والأحاديث القليلة كما، الكثيرة والغزيرة معنى، تبيّن لنا صور من صور التسامح في الإسلام. في عفو المسلمين عن بعضهم، وخاصة المسيء منهم، ورحمتهم لكل خلق الله ولو على غير ملتهم، وإشاعتهم السلام، ومسالمتهم لأهل الجهل ولو من المشركين.

وقد ساعد على جلاء المعنى وظهور ما فيه من روعة البيان ألوان بلاغية متعددة، تنوعت بين معان، وبيان، وبديع.

- حيث تواردت ألوان البيان (التشبيه والمجاز والكناية) على الأسلوب، مما أدى إلى ظهور الصورة ووضوحها في أجمل ثوب وأبهاه، مع ثراء المعنى وتنوعه.
- لعب التعريف والتنكير دورا بارزا في بيان معنى الآيات والأحاديث محل البحث، وكان مناسبا لمقتضى الحال في كل مقام، في مقام الرحمة والعفو، أو السلام والمسالمة.
- شكل الفصل والوصل أهمية بلاغية خاصة داخل النصوص محل البحث، فجاء ملائما للسياق، وكان حلية في الأسلوب، وسبيلا إلى حسن التخلص.
- جاءت المشاكلة والجناس وائتلاف الفواصل من ألون البديع لتخدم المعنى في المقام الأول، وحلية للفظ بعد ذلك، فتتاغم اللفظ مع المعنى في إعجاز باهر ونظم بديع.

وكلها تدلل على إعجاز الكتاب الكريم، الباهر بنظمه وبلاغته، وتؤكد على بلاغة سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – وتعمق في نفوس المتلقين صورا من صور التسامح في هذا الدين القويم، لترتقي بالنفوس إلى عليين، وترغبها في التمسك بهذا الخلق الجميل، وحبل الله المتين. فسبحان من هذا كلامه. وصلاة وسلاما على سيد المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

Scanned with OKEN Scanner

مراجع البحث:

١. أثر النحاة في البحث البلاغي د/عبد القادر حسين -دار نهضة مصر .
٢. أسباب النزول للنيسابوري -مكتبة الجمهورية العربية.
٣. أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني -تحقيق د/ محمود محمد شاكر - مطبعة المدني -القاهرة.
٤. الأسلوب في الإعجاز البلاغي لمحمد كريم كواز - دار الكتب الوطنية -بنغازي ط١/١٤٢٦هـ.
٥. الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم د/ محمد أبو موسي -مكتبة وهبة ط١/١٩٨٤.
٦. الإعجاز الفني في القرآن لعمر السلامي -مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله-تونس ١٩٨٠م.
٧. إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش -دار الإرشاد للشئون الجامعية.حمص ط٣/١٩٩٢م .
٨. الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان-أ /أحمد محمد الحجاز -دار الإتحاد العربي.
٩. الإيجاز والأعجاز للثعالبي- دار صعب- بيروت.
١٠. الإيضاح بتعليق البغية لعبد المتعال الصعيدي-المطبعة النموذجية.
١١. الإيضاح -للخطيب القزويني- دار الجيل- بيروت.
١٢. بديع القرآن لابن أبي الأصبع - تحقيق د/ حفني شرف -القاهرة ١٣٧٧هـ.
١٣. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لحبنكة الميداني - دار القلم - دمشق.
١٤. البلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري شيخ أمين- دار العلم للملايين- بيروت- ط١- ١٩٨٧م.

Scanned with OKEN Scanner

١٥. البلاغة القرآنية والنبوية في آثار الشريفين د/محمد حسن شرشر - مكتبة زهراء الشرق ط١/٢٠٠٦م.
١٦. تحرير التحبير لابن أبي الأصبع المصري د/حفني شرف -القاهرة ١٣٨٣هـ .
١٧. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور-دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.
١٨. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان د/محمد أبو موسي - مكتبة وهبة ط٢/١٩٨٠م.
١٩. التفسير الكبير للفخر الرازي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط٣.
٢٠. التفسير الواضح د/محمد محمود حجازي - مكتبة الزقازيق.
٢١. تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي -منشورات دار مكتبة الحياة -بيروت.
٢٢. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د/أحمد سعد محمد - مكتبة الآداب.
٢٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي -دار الكتب العلمية-بيروت.
٢٤. حاشية الشهاب علي البيضاوي - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٢٥. خصائص التراكيب د/محمد أبو موسي- مكتبة وهبة- ط٢- ١٩٨٠م.
٢٦. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية- د/ عبد العظيم المطعني- مكتبة وهبة- ط١- القاهرة- ١٩٩٢م.
٢٧. دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني-مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.
٢٨. روح المعاني للألوسي-دار الفكر -بيروت ١٩٧٨.
٢٩. سماحة الإسلام للأستاذ الدكتور/ عمر بن عبد العزيز قريشي- المكتبة الذهبية ط ٣ -٢٠٠٦م.

٣٠. سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي- تحقيق محمود شاكر- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط١- ٢٠٠٦م.
٣١. صحيح البخاري بشرح السندي- المكتب الثقافي- مطبعة دار إحياء التراث العربي لعيسى البابي الحلبي وشركاه.
٣٢. صحيح مسلم بشرح النووي-
٣٣. صحيح مسلم - دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٤. الطراز للعلوي اليمني -دار الكتب العلمية-بيروت.
٣٥. الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي -المكتب الإسلامي- بيروت ط٢-١٩٨٦م.
٣٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني- دار الغد العربي- القاهرة- ط١- ١٩٩٢م.
٣٧. الكشاف للزمخشري - دار المعرفة- بيروت- لبنان .
٣٨. لسان العرب لابن منظور- دار المعارف- القاهرة.
٣٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير- دار نهضة مصر- القاهرة.
٤٠. المطول لسعد الدين التفتازاني-مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ .
٤١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها -د/أحمد مطلوب -مكتبة لبنان .
٤٢. المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني د/إنعام مكاوي -دار الكتب العلمية بيروت.
٤٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي -دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٤. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -القاهرة١٩٩٥م.

Scanned with OKEN Scanner